Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 5| Page 322 – 344 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الاتجاه الزيدي في كتابة السيرة النبوية في اليمن خلال القرن9هـ/15م الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (793-840هـ/1391-1436م) أنموذجًا

The Zaidi Trend in Writing the Biography of the Prophet in Yemen during the 9th century Hijri/15AD Imam Ahmed bin Yahya Al-Murtada (793-840 Hijri / 1391-1436 AD) is a Model

Hezam Muthana Saleh Qaasha

Researcher - Department of History and International Relations - Faculty of Arts and Humanities
Sana'a University – Yemen

حزام مثنى صالح قعشة

باحث– قسم التاريخ والعلاقات الدولية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة صنعاء– اليمن

الملخص:

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على التعريف بالمذهب الزيدي، ونشأته، وتوضيح اتجاه المذهب ومنهجه، في كتابة السيرة النبوية من خلال الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، بوصفه أنموذجًا لهذه الدراسة، وذلك من خلال مخطوط (يواقيت السير)، وتتمثل مشكلة البحث في معرفة ما اتجاهات الكتابات التاريخية عند الإمام ابن المرتضى؟ وما منهجه الذي يعتمد على الأحاديث الصحيحة ذات المنهج الواحد على أساس أنها منبثقة ومتصلة بمنهج القرآن الكريم؟ وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النقدي، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها، ظهور شخصية ابن المرتضى من أول المخطوط حتى آخره، ويتضح ذلك جليًا من خلال التنظيم العام للمخطوط، والعناية بالأرقام، والإحصاءات في موضعها، علاوة على جهده في وضع عناوين الأبواب والفصول، وجمع وتوزيع المادة العلمية عليها.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، الزيدية، يواقيت السير، اتجاهات، ابن المرتضى.

Abstract:

This research aims to illuminate the definition of the Zaidi doctrine, its origins, and to clarify the trends and methodologies employed in writing the biography of the Prophet, using Imam Ahmed bin Yahya Al-Murtada as a model through the manuscript "Yawaqit Al-Siar." The research problem centers on understanding the trends in Imam Al-Murtada's historical writings and his approach, which relies on authentic hadiths and is consistent with the teachings of the Holy Qur'an.

The study utilizes both descriptive analytical and critical methods. The findings revealed several key results, most notably the emergence of Al-Murtada's personality throughout the manuscript. This is evident in the overall organization of the text, the attention given to numbers and statistics, as well as his efforts in titling chapters and systematically collecting and distributing scientific material.

Keywords: Prophetic biography، Zaidi، Yawaqit Al-Siar، directions، Ibn Al-Murtada.

المقدمة:

ما من شك أن دراسة اتجاهات كتابة السيرة النبوية الشريفة مهمة أساسية، لابد من العيش في موكبها والسعي لمُثلها، فهي للباحث أهمّ وألزم وأوجب متابعةً وبحثًا، فمن المهم جدًا فهم السيرة وتدبرها، والكتابة عنها وتوعية الناس بها، وذلك جزء من مقتضيات الإسلام، لاسيما في هذا العصر، وقد حظيت السيرة بكُتاب ينتمون إلى مختلف المدارس الفقهية، والاتجاهات المذهبية، يقصدون دراستها ونقدها، كل وفق تصوراته ومناهجه التي يسير عليها، ويأتي في مقدمتهم مؤرخو القرن9هـ/15م بوصفهم موضع البحث والدراسة، التي ضمناها بالحديث عن المذهب الزيدي وعمدته الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أنموذجًا.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية البحث في أن معظم مؤلفات السيرة في هذا القرن تُعدُّ ممثلة لمدارس مذهبية وفكرية، وكان هناك تباين في تناول أحداث السيرة ووقائعها فيما بينها؛ مما تطلب قراءة واسعة وعميقة لعدة دراسات ومراجع ذات علاقة بهذه الاتجاهات. وإشكالية البحث تنبع من خلال الإجابة على التساؤل عن: الصورة التي قدمها اتجاه المذهب الزيدي في كتابة السيرة

النبوية، وعن طرح الأحداث والمواقف بما يثبت أنها مستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة. وهذا البحث سوف يحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الصورة الحقيقية للإمام ابن المرتضى عند طرحه للسيرة النبوية؟
- هل اعتمد ابن المرتضى على الأحاديث الصحيحة، أو الموضوعة عند تدوين أحداث السيرة؟
- ما أهم الاتجاهات التي طرحها ابن المرتضى قبل سرده لأحداث السيرة النبوية؟
- وعند طرح ابن المرتضى لمرويات السيرة، هل اعتمد على الترتيب الزمني لمجريات الأحداث؟

أهداف البحث:

1- يهدف البحث إلى الوقوف على الاتجاه، والمنهج الذي اتبعه المؤرخون اليمنيون في نقل وقائع السيرة النبوية، ابن المرتضى أنموذجًا.

2- التعرف إلى الآلية التي تعاطى بها المؤرخون اليمنيون مع وصف أحداث السيرة وتحليلها.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث بمعرفة الأثار التي خلفها واقع اليمنيين في القرن9هـ/15م، على كتابة السيرة النبوية المطهرة، والإسهام في خدمة تاريخ هذه الأمة، لاسيما ما يتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بوصفها القاعدة واللبنة الأولى في بناء التاريخ، ولأنه يهمني الوقوف على أحداث السيرة واتجاهاتها ودروسها وعبرها وعظاتها؛ فهذا يعود الى الفطرة الإنسانية الأصيلة التي تتعلق بالحق أينما لاح، ولأن القرن9هـ/15م موضع الدراسة يعد من أكثر مدد تاريخ اليمن ازدهارًا في جميع المجالات، وأغزر مدد تاريخها بالمؤلفات لدرجة أن أئمتها وسلاطينها شاركوا بأنفسهم في كتابة تاريخهم.

حدود الدراسة والمنهج المتبع في البحث: تحددت الدراسة بالحدود والمحددات الآتية:

الحدود المكانية والزمانية: ركزت الدراسة من حيث المكان على نموذج لمؤرخي اليمن، خلال القرن9هـ/15م، وذلك لأنه على وجه الخصوص كان يشكل مركز الحركة الفكرية والثقافية في اليمن.

الحدود العلمية (المنهج المتبع): يعد القرن9هـ/15م من أكثر مدد تاريخ اليمن احتفاء بالمؤلفات التاريخية التي تميزت بشمولها، وكان يغلب عليها استعراض سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إما في المقدمة أو في الفصول الأولى، ثم استعراض تاريخ اليمن إما بمنهج الحوليات المحلية والأسرية أو بمنهج الاختصار أو الإطالة أو نقل النص والمعنى، وسوف يستخدم الباحث في تناول الموضوع ودراسته المنهج الوصفي التحليلي من منظور ظاهرة تدوين السيرة النبوية المطهرة، و المنهج النقدي في التقييم، والترجيح بين الروايات.

الدراسات السابقة:

على حسب علم الباحث أنه لم يسبق أن جرت الكتابة من قبل في هذا الموضوع لا من حيث فكرته ولا من حيث زمن دراسته، وبحسب ما توافر لدي من معطيات فإنه لا توجد دراسة مفردة تناولت (اتجاهات كتابة السيرة النبوية في اليمن خلال القرن9هـ/15م)

ومن الدراسات السابقة التي تناولت دراسة اتجاهات الكتابة والتأليف في السيرة النبوية، التي أفادتني كثيرًا في رسم مخطط تفصيلي للبحث، دراسات متنوعة منها:

اطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى، بعنوان: (اتجاهات كتابة السيرة النبوية في القرن السابع الهجري) للباحث: صالح بن أحمد الضويحي.

أطروحة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، بعنوان: (اتجاهات كتابة السيرة النبوية في المشرق الإسلامي خلال القرن السادس الهجري) للباحث: بسام الخراشي.

هيكل البحث:

اقتضى موضوع البحث وأهدافه والمنهج المتبع أن يقسم الباحث عمله إلى مقدمة وخمسة مباحث، ونتائج وتوصيات: تناول المبحث الأول، التعريف بالزيدية ونشأتها ونسبتها إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام، وتطرق المبحث الثاني إلى التعريف بالإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (793-840هـ/1391-1436م)، وأهم مؤلفاته، أما المبحث الثالث فقد أبرز أهم مصادر الإمام ابن المرتضى في كتابة السيرة النبوية من خلال مخطوط (يواقيت السير)، وجاء المبحث الرابع لتسليط الضوء على اتجاهات، ومنهج الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في كتابة السيرة النبوية، وتناول المبحث الخامس السمات المنهجية لابن المرتضى، وخرج البحث بجملة من النتائج، والتوصيات سيتم عرضها في نهاية البحث.

المبحث الأول: التعريف بالزيدية ونشأتها ونسبتها إلى الإمام زيد بن علي رضي الله عنه:

- **الزيدية:** مدرسة فقهية تنسب إلى الإمام زيد عليه السلام (ت122هـ/739م)، وسموا (بالزيدية) نظير اتباعهم لمنهج الإمام زيد بن علي بن الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليهم أجمعين[1] الذي كان يرى الخروج على أئمة الجور والظلم[2]، ولأنهم اختلفوا مع الرافضة، في تولي الشيخين، والبراءة ممن يتبرأ منهما، فرفضت الرافضة؛ فسموا رافضة، وتبع هؤلاء زيد بن علي، فسموا الزيدية[3].

فالزيدية تطلق على كل من تابع الإمام زيد بن علي عليه السلام وسار على نهجه؛ بيد أن هذه التسمية لم يطلقها عليهم الإمام زيد ولا أتباعه؛ الذي أطلق عليهم هذه التسمية هم حكام بني أمية، وكانت نوعًا من التسمية السياسية حينها؛ حتى يتميز كل من يعارض الدولة الأموية من آل البيت[4].

والزيدية بوصفها مدرسة فقهية كان لها امتداد واسع في طبرستان والديلم وخراسان، وانتقلت إلى اليمن أيضًا عن طريق الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وهي التي لا تزال ظاهرة ومستمرة إلى اليوم[5].

- التأسيس والآراء:

ظهرت الدعوة الزيدية حركة سياسية أولًا في خلافة بني أمية، وكان الخروج بسبب ما رأوه من ظلم وتعسف من قبل الأمويين، وقد مر ظهورها بمراحل متعددة، فبدأ ظهورها في الكوفة على يد الإمام زيد بن علي عليه السلام؛ لما خرج على الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/723-742م)، ودعا لنفسه بالإمامة، وبايعه جمع من شيعة الكوفة، فاستشهد في إحدى معاركه مع الأمويين[6]، ثم ظهرت الدعوة في خراسان، وفي المدينة المنورة وغيرها، ولما توالى القتل على كل من دعا منهم إلى نفسه بالإمامة صار البحث

(1) أئمة أهل البيت الزيدية، لعباس محمد زيد(4/1).
(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لابن أبي بردة(69/1)؛ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للصلابي(392/2).
(3) التحف شرح الزلف، للمؤيدي(ص:68-71)؛ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لابن أبي بردة (68/1).
(4) الزيدية نظرية وتطبيق، للفضيل(ص:12).
(5) الزيدية، للمحطوري (ص:5-10).
(6) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، لأبي طالب الهاروني (ص:48).

عن مناطق مناصرة وبعيدة عن تأثير السلطة العباسية حينها أمرًا لازمًا، وهكذا ظلت الدعوة الزيدية تتنقل من منطقة إلى أخرى[7].

ومن هذا المنطلق فقد كان الإمام القاسم بن إبراهيم الرسّي(218-246هـ/ 833-860م)، من علماء الزيدية، في مصر أيام الخليفة العباسي المأمون(198-218هـ/813-833م)، وبثَّ دعاته في الأقطار، وحثوه على إظهار دعوته، وكان مستترًا بمصر عشر سنين، فاشتد طلب عبيد الله بن طاهر (ت230هـ/844م)، عامل المأمون على مصر له، فانتقل إلى الحجاز، ولم يزل مختفيًا إلى أن مات الخليفة المأمون وولّىَ أخوه المعتصم(218-227هـ/833-842م)، فكثر طلب المعتصم له فلم يتم أمره، فلجأ إلى جبل في الحجاز، وهو المسمى بالرسِّ، وتحصن به هو وأولاده، وسكن به إلى أن مات[8]، وقد تشكلت له طائفة زيدية عملت بمذهبه وآرائه واجتهاداته، وعرفت حينها باسم القاسمية[9].

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك، حتى ظهر بخراسان الناصر الأطروش(284-304هـ/897-916م)، فطُلب مكانه ليُقتل، فاختفى واعتزل الأمر، وصار إلى بلاد الديلم والجيل[10]، ولما يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام، على مذهب زيد بن علي عليه السلام، فدانوا بذلك، ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين[11]؛ وسمي المذهب الفقهي الذي اتبعوه هناك بالناصرية[12].

وهكذا صار الفقه الزيدي منتشرًا في الأقطار، وظهرت مدارس فقهية زيدية كثيرة، وكثيرًا ما تجد في كتب الزيدية: مذهب القاسمية، أو الناصرية، أو الهادوية، وهي جميعًا تنسب إلى الإمام زيد بن علي، وإنما كانت أقوالهم الفقهية قد تختلف أحيانًا، نتيجةً للاجتهاد الذي عملوا به جميعًا[13].

المبحث الثاني: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وإتجاهاته في كتابة السيرة النبوية:

أولًا: التعريف بالإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (793-840هـ/1391-1436م):

اسمه ونسبه: هو أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل بن حجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى المنصور بن أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مولده يوم الاثنين، سابع شهر رجب سنة: (764هـ/1363م)، بألهان آنس[14]، قضاء ذمار جنوب صنعاء، ونشأ يتيمًا؛ فربته أخته الشريفة العالمة دهماء بنت يحيى بن المرتضى، وأشرف عليه وعلى تدريسه أخوه الأكبر العلامة الهادي بن يحيى بن المرتضى (ت785هـ/1383م)، وخاله الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي(750-774هـ/1349-1372م)، وتلقى دروسه على علماء عصره، بجدارة كبيرة، مستقصيًا كل العلوم الإسلامية في عصره، ثم دعا إلى الله وبويع بالإمامة، في شوال سنة:

(7) الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة الزكية وأعلام الأمة المحمدية، لابن الوزير (37/1).
(8) سمط النجوم العوالي، للعصامي (2/ 371).
(9) الفصول اللؤلؤية، لابن الوزير (41/1).
(10) الجيل: من أعمال بلاد الديلم، بين طبرستان، وجيلان، وبحر الخزر، وهم مقيمون على ساحل البحر. ينظر: المعالم الأثيرة، شراب (117/1)؛ معجم البلدان، للحموي (234/2).
(11) الملل والنحل، للشهرستاني (153/1).
(12) الفصول اللؤلؤية، لابن الوزير(41/1)؛ أئمة أهل البيت، لعباس محمد زيد(ص:66).
(13) الزيدية نظرية وتطبيق، للفضيل (ص:140).
(14) كانت بلاد آنس قديمًا تعرف بمخلاف ألهان نسبةً إلى ألهان بن مالك بن زيد بن أوسلة، وهو مخلاف واسع فيه قرى كثيرة. ينظر: بلدان اليمن، للحجري (22/1).

(793هـ/1390م)، ولقب بـ (المهدي لدين الله) [15]، وعارضه بعض وزراء الدولة بمبايعة المنصور علي بن صلاح الدين، وغدر به في مدينة معبر، وسيق إلى سجن صنعاء مع من بقي معه من العلماء، وفي السجن ألَّف الكثير من كتبه، ثم خرج من سجنه[16]، وطاف في البلاد، فعكف على تصنيف وتأليف أشهر الكتب المعتمدة عند الزيدية، وبقي خادمًا للعلم، حتى توفي شهيدًا بمرض الطاعون الذي قتل فيه كثير من العلماء والأعيان في ذلك الوقت في حجة، غربي صنعاء[17].

ثانيًا: مكانة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى العلمية ومؤلفاته:

كان الإمام أحمد بن يحيى المرتضى من العلماء الأفذاذ، فهو فقيه الزيدية، وعمدة المذهب، وزينة علماء آل البيت، أخذ العلوم جميعها، وبلغ بها درجة الكمال، حتى صار المجتهد المطلق، صاحب التصانيف الفريدة [18].

قال عنه الشوكاني[19]: "قرأ في علم العربية فلبث في قراءة النحو، والتصريف، والمعاني والبيان، قدر سبع سنين، وبرع في هذه العلوم الثلاثة، وفاق غيره من أبناء زمانه، وابتدأ يصنف كتاب (الكوكب الزاهر في شرح مقدمة طاهر) قبل أن ينتهي سنه إلى عشرين سنة[20]، وأخذ في علم الكلام على أخيه الهادي، وعلى القاضي محمد بن يحيى المذحجي، فسمع عليه (الخلاصة النافعة في فوائد التابعة)، و(شرح الأصول) ثم قرأ (تذكرة ابن متويه) على القاضي المذكور مرة، ثم على القاضي علي بن عبدالله بن أبى الخير(ت793هـ/1390م) مرةً أخرى، ثم قرأ عليه (المحيط) و(المعتمد) لأبى الحسين البصرى(ت436هـ/1044م)، فلما تم ذلك انتقل إلى أصول الفقه، فسمع (الجوهرة) وحققها تحقيقًا عجيبًا، ثم اختصرها في منظومة سماها (فائقة الفصول)[21]، وسمع سيرة رسول الله ﷺ[22]، على الفقيه العالم علي بن صلاح العدوي، وأخذ من كتب اللغة (نظام الغريب) و(مقامات الحريري)، وسمع (الكشَّاف)، على المقرئ المعروف بابن النساخ' وقرأ غير ذلك، وتبحر في العلوم، واشتهر فضله، وصنف التصانيف[23].

أما من الناحية العلمية فقد عاصر ابن المرتضى نخبة من العلماء أبرزهم: محمد بن إبراهيم الوزير الذي وقف مؤيدًا لخصمه علي بن صلاح، ناقدًا له في كثير من آرائه الفقهية [24]، وتذكر كتب التراجم أن ابن الوزير زار ابن المرتضى إلى مدينة ثلاء، وسأله في خمسٍ وعشرين مسألة في الإمامة فلم يرد له جوابا[25].

والخلاصة أن ابن المرتضى عاش في عصر شابه الاضطراب والصراع السياسي، وهذا ما قلص من نفوذه أثناء الصراع على الإمامة مع خصمه علي بن صلاح، كما عاصر كوكبة من العلماء في المذهبين الشافعي والزيدي، في حقبة شابها الصراع الفقهي أيضًا، الذي تنوعت مدارسه، وتعددت مشاربه.

(15) مآثر الأبرار، للزحيف (354/2).
(16) تشفع له الهادي بن إبراهيم الوزير في قصيدة جاء فيها
فقلت له فداك أبي وأمي تلطف بالقرابة والرحامة
فإن السيد المهدي منكم بمنزلة تحق له الفخامة
ينظر: في علم الكلام، لصبحي (271/3).
(17) البدر الطالع، للشوكاني(115/1)؛ الأعلام، الزركلي (296/1).
(18) طبقات الزيدية، لابن القاسم(232/1).
(19) البدر الطالع(116/1).
(20) مآثر الأبرار، للزحيف(355/2).
(21) البدر الطالع، للشوكاني(122/1)؛ مآثر الأبرار، للزحيف(355/2).
(22) مآثر الأبرار، للزحيف(356/2).
(23) البدر الطالع، للشوكاني (123/1).
(24) غاية الأماني، لابن القاسم (ص:539).
(25) مطلع البدور، لابن أبي الرجال(147/4).

وقد صنف التصانيف في كل فنون العلم؛ ففي أصول الدين: كتب منها: (نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد)، و(القلائد)، و(الملل والنحل) وشرحها و (الأمنية والأمل)، و(رياضة الأفهام في لطيف الكلام) وشرحها (دامغ الأوهام) [26]، وفي أصول الفقه ثلاثة كتب: كتاب (فائقة الفصول في ضبط معاني جوهرة الأصول)، وكتاب (معيار العقول في علم الأصول)، وكتاب (منهاج الأصول إلى معرفة معاني شرح معيار العقول)[27]، وفى علم النحو خمسة كتب هي: (الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر)، و(الشافية في كشف معاني شرح الكافية)، و(المكلل بفرائد معانى المفصل)، و(تاج علوم الأدب في قانون كلام العرب)، و(إكليل التاج وجوهرة الوهاج) [28]، وفى علم الفرائض كتابان هما: كتاب (الفائض) وكتاب (القاموس الفائض في علم الفرائض)، وفى المنطق: (القسطاس المستقيم في علم الحد والبرهان القويم)، وفي معرفة قصص الصالحين: كتاب (تزيين المجالس)، وكتاب (مكنون العرائس) [29]، وهنالك مؤلفات سبق وأن ذكرناها في الفصل السابق.

وكانت الكتب المقررة في المدارس الإسلامية في المذهب الزيدي هي (اللمع وشروحه)، ثم اعتمد كتاب (التذكرة الفاخرة) وشروحها، ثم حل محلها (متن الأزهار)، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وشروحه المتعددة، وأهمها: (المنتزع المختار) لعبدالله مفتاح (ت877هـ/1472م)، كما اعتمد في الفقه الزيدي على (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) [30].

ذكر صاحب كتاب (السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار) جانبًا من الأهمية التي وصل إليها (البحر الزخار) عند الزيدية، فقال في معرض كلامه[31] "والبحر لابن المرتضى: جمع فيه الفقه الهادوي، واتخذه علماء المذهب وأتباعه من بعده أساسًا لفقه المذهب، فالتفوا حوله بالاستظهار، والشرح، والتعليق، حتى صار عمدة الهادوية في عباداتهم ومعاملاتهم في اليمن". يضاف إلى ذلك أن التاريخ السياسي لابن المرتضى جعله يكتسب نوعًا من القداسة، كما أن تولي أحفاده الإمامة جعل الكتاب يمثل مذهب الدولة[32].

ثالثًا: مؤلفات الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في السيرة النبوية:

في مستهل الحديث عن مؤلفات الإمام ابن المرتضى في مجال التاريخ والسيرة النبوية، نجد له باعًا طويلًا، فقد أسهم فيها إسهامًا كبيرًا، غير أن كتبه في التاريخ والسيرة لا تخرج عن كتابين عظيمين اشتهر بهما الإمام ابن المرتضى، فالأول: كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) الذي تضمن أبوابًا كثيرة من أبواب العلم منها السيرة النبوية، والثاني: كتاب (غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار) الذي يعد شرحًا وتوضيحًا لما في (البحر الزخار)، وسنقف على هذين الكتابين بجزء من التفصيل.

(26) يواقيت السير، لابن المرتضى – تراجم – (ص:30، 31)؛ مآثر الأبرار، للزحيف(362/2).
(27) مآثر الأبرار، للزحيف(362/2)؛ في علم الكلام، لصبحي (ص:272).
(28) ينظر: البدر الطالع، للشوكاني(1/ص123)؛ يواقيت السير، لابن المرتضى – تراجم – (ص:31).
(29) البدر الطالع، للشوكاني(123/1)؛ مآثر الأبرار، للزحيف (364/2).
(30) المدارس الإسلامية، للأكوع (ص:10).
(31) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني (11/1-15).
(32) البدر الطالع، للشوكاني (122/1-126).

- كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار:

ذكر الإمام ابن المرتضى في مقدمة كتابه (البحر الزخار) الاسم الذي اختاره لكتابه هذا، فقال[33]: "البحر الزخار، الجامع لمذاهب علماء الأمصار، في الاعتقادات الدينية، واللطائف الكلامية، والقواعد الأصولية، والسير النبوية، والآيات الحكمية، والأحكام الفقهية، والمسائل الفرضية، والمحرمات القلبية، مع الأدلة النقلية، والحجج القطعية، والأمارات الظنية، من الآيات الحكمية، والآثار النبوية، والإجماعات المروية، والقياسات المعنوية، والشبهية".

فمن خلال هذه التسمية يتضح لنا القيمة العلمية التي يحملها هذا الكتاب الكبير، الذي جمع فيه معظم أبواب العلم، فهو موسوعة علمية إسلامية جامعة لأقوال الصحابة والتابعين، والأئمة في الفقه، وأصول الدين، احتوت على الكثير من العلوم الإسلامية، كالأحكام والعقائد والسير وغيرها، ضم أربعة عشر جزءًا، لكل واحد منها اسم خاص، وهو من أشهر كتب الفقه عند أهل اليمن، وقد اعتنى بشرحه جمهور من العلماء، وحققه/عبدالله بن عبد الكريم الجرافي، وطبع بدار الحكمة اليمانية، سنة:1366هـ[34]. ومن كتب السيرة النبوية في كتاب (البحر الزخار):

- كتاب الجواهر والدرر من سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر وعترته الأئمة المنتجبة الزهر.
- كتاب الدرة المنيرة في الغريب من فقه السيرة النبوية.
- ثم إنه شرح السيرة النبوية في كتاب الدرة المنيرة.

- غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار.

هذا الكتاب عبارة عن شرح لكتاب (البحر الزخار)، وهو اسم لمجموعة كتب، ورسائل للإمام ابن المرتضى، تتكون من تسعة أسفار، **الأول:** المنية والأمل في شرح الملل والنحل، **الثاني:** الدرر الفرائد في شرح القلايد، **الثالث:** دامغ الأوهام في شرح رياض الأفهام، **الرابع:** منهاج الأصول في شرح معيار العقول، **الخامس:** يواقيت السير في شرح الجواهر والدرر، **السادس:** المستجاد في شرح الانتقاد، **السابع:** عماد الإسلام في شرح كتاب الأحكام، **الثامن:** الروضة النضيرة في شرح الدرة المنيرة، **التاسع:** شفاء الأسقام شرح كتاب (تكملة الأحكام)، وهي جميعها عمدة علوم الزيدية[35]. ومن كتب التاريخ والسير التي تضمنها هذا الكتاب:

- **كتاب يواقيت السير في شرح كتاب الجواهر والدرر.**

وهو عبارة عن شرح لكتاب (الجواهر والدرر) المذكور في كتاب (البحر الزخار) السالف ذكره، وهو مكون من ثمانية كتب، **الأول:** عجائب الملكوت، **الثاني** سلوة الأولياء في معرفة سير الأنبياء، **الثالث:** كتاب الأمجاد من تاريخ آبائنا والأجداد، **الرابع:** الدرر المضيئة في شرح السيرة النبوية، **الخامس:** ضياء القمر في شرح سيرة أصحابه العشرة الغرر، **السادس:** رياض الفكر في شرح سيرة عترته المنتجبين الزهر، **السابع:** تحفة الأكياس في شرح تعيين خلفاء آل أمية

(33) مقدمة البحر الزخار الجواهر والدرر من سيرة سيد البشر، لابن المرتضى(4/1).

(34) مآثر الأبرار، للزحيف(218/3)؛ طبقات الزيدية، لابن القاسم(33/1)؛ مطلع البدور، لابن أبي الرجال (300/1)؛ مؤلفات الزيدية، للأشكوري(193/1)؛ في علم الكلام، لصبحي(274/3).

(35) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:2).

والعباس، **الثامن:** تزيين المجالس بذكر التحف النفائس[36].

جمع فيه إلى جانب السيرة النبوية، تاريخ بدء الخلق وما يتعلق بها، وسمى هذه المقدمة (عجائب الملكوت)، إلى حياة النبي .

المبحث الثالث: مصادر الإمام ابن المرتضى في كتابة السيرة النبوية:

من خلال الاطلاع على مؤلفات ابن المرتضى وخصوصًا مخطوط (يواقيت السير) نجد أنه اعتمد على مصادر، ومراجع ذكرها بالاسم، أو ذكر اسم مؤلفيها، ومصادر ذكرها بصفتها، ككتب الحديث وذلك في قوله[37]: "ثم إنا نذكر ما لم يفرد له ابن هشام ذكر، ونقلناه مما صح من كتب الحديث"، وقد تنوع أسلوب الإمام ابن المرتضى في النقل عن المصادر ما بين النقل الحرفي للنص أو تلخيصه بعبارته السهلة والسليمة والمفهومة، أو التداخل في النقل بين المصادر المختلفة المعنية بالحدث، أو نقل اسماء الصحابة، مما يعرف بالجمع التأليفي، ثم إنه في أغلب الأحيان لا يشير إلى مصادر النقل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فيترك للمحقق المتفحص عناء اكتشاف ذلك بنفسه.

ومن المصادر والمراجع التي ذكرها ما يلي:

1. **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، لمحمد بن إسحاق المطلبي، (ت151هـ/769م):

اعتمد الإمام ابن المرتضى في عرضه لأحداث السيرة النبوية على ذكر أقوال من سبقه، كابن إسحاق، حينما قال:[38] "رواه ابن اسحاق"، و"روى ابن اسحاق". ثم بعد ذلك يعقب بالموافقة والتأييد، كتأييده لابن إسحاق برواية بني مخزوم، وتعذيبهم أسرة عمار بن ياسر[39]. أو يكتفي بالعرض فقط، كقوله[40]: "فصل قال: ابن إسحاق ثم أقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم داعيًا إلى الله صابرًا، محتسبًا، مؤديًا ما أُرسل به، يلقى من قومه التكذيب، والاستهزاء، فكان أعظم من بالغ في إيذائه والاستهزاء به من أشراف قريش، وذوي الشر فيهم، خمسة نفر فدعا عليهم فأهلكهم الله وأنزل في شأنهم:﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ " [الحجر: 95]. أو يقوم بالترجيح، وإبداء رأيه الذي قد يخالف به من سبقه أحيانًا، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: قال ابن إسحاق ثم غزا بني المصطلق سنة ست، والإمام ابن المرتضى يرجح وقوعها في السنة السادسة بقوله[41]: "وكان ذلك في شعبان سنة ست"، بينما ذكرت هذه الغزوة عند أهل المغازي في السنة الخامسة [42]، والباحث يذهب مع ابن إسحاق والإمام ابن المرتضى بوقوعها في السنة السادسة على قول ابن هشام والطبري [43].

2. **(السيرة النبوية)** لابن هشام، عبد الملك المعافري أبو محمد (ت213هـ/829م):

استعان الإمام ابن المرتضى بابن هشام، وعرض ما أخذ منه بالنص، نبين مثالًا لذلك في ذكر رواية وفاته صلى الله عليه وآله وسلم [44]، وبنفس أسلوب ومنهج ابن هشام، تحدث عن إنفاذ بعثة أسامة بن زيد إلى فلسطين[45]، وأحيانًا نجد ابن المرتضى يختلف

(36) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:2).
(37) يواقيت السير، (ق: 181).
(38) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:60، 61).
(39) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:75)؛ وينظر أيضًا على سبيل المثال: البداية والنهاية، لابن كثير(3/ ص76)؛ تاريخ الإسلام، للذهبي(572/3).
(40) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:83).
(41) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:134).
(42) المغازي، للواقدي (404/1).
(43) السيرة النبوية، لابن هشام(252/4)؛ تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، للطبري(104/2).
(44) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:96، 97، 98).
(45) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:96).

عن ابن هشام، في طريقة عرضه، وكتابته لأحداث السيرة، ونستشهد بمثال لذلك في فصل ذكر أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عند استئذانه زوجاته أن يمرض في بيت عائشة فقال[46]: "قلت وسيأتي ذكرهن".

على أي حال فإن الإمام ابن المرتضى كان يركز على المسألة أو الفصل الذي سيتناوله من فصول السيرة، ثم يعرض ما ذكرته الرواية من أقوال المؤرخين، وأحيانًا يتدخل بعد كل قول، ويذكر مالم يذكره ابن هشام، مثال لذلك قوله[47]: "قلت ولم يروها ابن هشام في سيرته"، وأحيانًا يعرض الروايات، ثم يبدي رأيه فيها ويرجح إحداها، وعند ترجيحه لبعض المسائل المهمة يفصل القول في ذكر الأدلة، كما فعل ذلك عند ترجيحه القول في تقسيم غنائم بني قريضه: "قال ابن هشام فجعل للفارس سهمين، وللمرأة منهم سهمًا، قلت والصحيح عندنا الذي استقر عليه الرواة، أن للفارس سهمين، وللراجل سهمًا عند الجميع، ولم يقسم إلا من بعد إخراج الخمس، وظاهر الرواية انه أخرج خمس المنقول وغير المنقول لأنه لم يخص وكانت الخيل يوم بني قريضة ستًا وثلاثين"[48]، والراجح ما ذهب إليه ابن المرتضى، استنادًا إلى كثير من المصادر الأخرى[49]. وكثيرًا ما كان ينبه إلى أنه أخذ من ابن هشام، ويعزو ذلك إلى ابن اسحاق كقوله[50]: "تنبيه ينبغي أن نفصل بعدد غزواته، ثم نذكر بعوثه، فقد قدمنا أن غزواته خمس وعشرون، وقيل سبع وعشرون والقائل بذلك هو ابن هشام وحكى ذلك عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: كان جميع ما غزا رسول الله بنفسه، سبعًا وعشرين غزوة".

3. **(كتاب المغازي)** للواقدي، لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي(ت 207هـ/823م):

أخذ ابن المرتضى عن الواقدي عددًا من النصوص، والروايات، ومن الأساليب التي استخدمها أن يأتي باسم المؤلف في أول النص تعليقًا كقوله[51]: "قال الواقدي وكان جيش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ثلاثين ألفًا وعشرة آلاف فارس"، وفي واقع الأمر أن ابن المرتضى تناول المنهج الذي يقوم على الحوار والنقاش باستعراض الآراء المختلفة في المسألة، ثم الرد عليها معتمدًا على الإقناع، والاستشهاد، كما فعل في روايته لغزوة تبوك[52].

4. **(كتاب المنهي والنهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم)**، للإمام الهادي يحيى بن الحسين(283-298هـ/896-911م).

استفاد الإمام ابن المرتضى من المؤلفات في السيرة النبوية وغيرها من المصادر، مع التفاوت الملموس في درجة الاستفادة من كل مصدر، منها، مع تنوع الأساليب، التي بواسطتها أخذ منها المادة العلمية، فقد أخذ عن الإمام الهادي حيث قال[53]: "ذكر الهادي عليه السلام فيما رواه الحاكم أن قصيًا هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وسن البحيرة [54]،

(46) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:96).
(47) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:74).
(48) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:131).
(49) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير(144/4)؛ تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي (124/1).
(50) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:175).
(51) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:160).
(52) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:157).
(53) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:55).
(54) البحيرة: هي التي تجدع آذانها من الإبل ويخلى سبيلها، ويمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس. ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، للصنعاني (30/2)؛ جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري (33/9).

والسائبة [55] ". وذكر ابن المرتضى للحاكم، يؤكد ما سوف يقرره بالأخذ من محدثي أهل الأثر.

5. **(كتاب شرف المصطفى)**، لعبد الملك الخركوشي النيسابوري (ت407هـ/1016م):

اقتبس الإمام ابن المرتضى معظم ما رواه عن مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن النيسابوري، ومنهجه في ذلك ذكر اسم المؤلف دون ذكر كتابه، ونستشهد على ذلك بذكر الأمثلة الآتية:[56] "قال النيسابوري: ثم غزا قريشًا لموعدهم"، و"قال النيسابوري: ثم غزا صلى الله عليه وآله وسلم بني قريضة".

وانتهج ابن المرتضى منهج الاستدلال من مصادر أخرى، لنفس الرواية، والباحث من خلال اطلاعه على (يواقيت السير) يلحظ بأن ابن المرتضى انتهج هذا الأسلوب لترجيح وتأكيد ما نقله، ويأتي عنده بألفاظ متعددة كقوله[57]: "قال النيسابوري ثم غزا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غزوة دومة الجندل، قال ابن هشام وذلك في شهر ربيع الأول" وقوله: "قلت: وهي التي أراد النيسابوري بقوله: ثم غزا قريشًا، وبني سليم بنجران ونجران موضع بالحجاز". ولعناية ابن المرتضى بذكر تواريخ الأحداث، نورد أحد الأمثلة عن النيسابوري؛ إذ ذكر قول النيسابوري بأنه صلى الله عليه وآله وسلم غزا غزوة الخندق في شوال سنة خمس هجرية[58].

6. **(المصابيح في سيرة الرسول وآل البيت)**، لأبي العباس الحسني(329-353هـ/940-964م):

ساهمت مرويات السيرة النبوية لأبي العباس الحسني في إثراء (يواقيت السير)، وأمدته بنصوص ومعلومات جعلته من المصادر الهامه لابن المرتضى فقد اعتمد ابن المرتضى في عرضه لمرويات السيرة هنا، على منهج ذكر اسم المؤلف، وذكر كتابه ونبه على ذلك بذكر لفظ "تنبيه" وروى أبو العباس في (المصابيح) عن جعفر الصادق، أن جبريل نزل بأمر الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: إن الله يقرئك السلام، ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملتك، وحجر كفلك[59]. فقال معلقًا[60]: "وهذا يستقيم إذا أتوا بالواجبات العقلية، ولم يشركوا بالله شيئًا، ولعلهم كانوا كذلك". وهو بهذه العبارة يؤكد اتجاهه المعتزلي في قضية الواجبات العقلية. ونذكر مثالًا آخر نبه إليه ابن المرتضى، بأعمار الأنبياء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال[61]: "وقد ذكر السيد أبو العباس الحسني الهاروني في كتاب (المصابيح) أعمار آدم عليه السلام، وبنيه إلى إبراهيم عليه السلام، وأعمار من بعده من الأنبياء".

7. **(ديوان حسان بن ثابت)**، للشاعر حسان بن ثابت الأنصاري(ت54هـ/674م):

كان شعراء المسلمين ومن أشهرهم حسان بن ثابت ـ يعمدون إلى الدفاع عن الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأشعارهم؛ لذا كانت أشعارهم تحوي الكثير من حقائق البيئة التي عاش فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذ فقد اعتمد الإمام ابن

(55) السائبة من الإبل والغنم ما كانوا يسيبونها لآلهتهم فتترك سائبة. ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، للصنعاني (30/2)؛ جامع البيان، للطبري (33/9).
(56) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:123، 128).
(57) يواقيت السير، لابن المرتضى ينظر على سبيل المثال: (ق:112، ق:125).
(58) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:125).
(59) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:60).
(60) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:60، ق:61).
(61) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:59، ق:60).

المرتضى على أشعار حسان بن ثابت، وجعلها أحد مصادره التي استقى منها السيرة النبوية في مخطوط (يواقيت السير)، التي نورد منها ما قاله حسان بن ثابت حين مقتل سلام بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، على سبيل المثال[62]:

لله در عصابة لاقيتهم

يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الرقاق إليكم

مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم

فسقوكم حتفا ببيض قرقف

مستبصرين لنصر دين نبيهم

مستصغرين لكل أمر مجحف.

وقال في حادثة الإفك دفاعًا عن أم المؤمنين عائشة[63]:

عقيلة حي من لؤي بن غالب

كرام المساعي، مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها

وطهرها من كل سوء وباطل

وكذلك حين وفاة النبي محمد صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله قال[64]:

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني

غيبت قبلك في بقيع الغرقد

بأبي وأمي من شهدت وفاته

في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متبلدا

يالهف نفسي ليتني لم أولد.

المبحث الرابع: اتجاهات ومنهج الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في كتابة السيرة النبوية:

عند استقراء منهج ابن المرتضى واتجاهاته في عرض السيرة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي السنن القولية والفعلية التي سنها وطبقها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد اقتضى ذلك أن يذكر أولًا نسب النبي عليه الصلاة والسلام، الذي يستدعي ذكر طرف أنساب أجداده، وأحوالهم، وكان أولهم آدم عليه السلام وهذا ما اضطره بحسب كلامه في أول كتاب يواقيت السير إلى ذكر مبتدأ خلقه، وكيفيته، وأحواله أيام حياته، وقبل هذا كان من الأحسن، أن يذكر مقدمة مفيدة في كيفية تركيب العالم، وما ورد في صفته من الآثار النبوية، وغيرها من كلام الأحبار، كوهب بن منبه، وكعب الأحبار[65]، ثم سمى هذه المقدمة كتاب (عجائب الملكوت)، ويتضح منهج واتجاه ابن المرتضى في كتابه من خلال الآتي:

- **الاتجاه الكلامي عند الإمام ابن المرتضى:**

كان ابن المرتضى غزير الإنتاج في موضوعات علم الكلام، وهو العلم الذي يدافع عن عقائد الإسلام ضد المخالفين بصفة عامة، كذلك اشتغل بقضايا الإمامة، والقضاء، والقدر، والصفات الإلهية[66]، وبالرغم من تأثر ابن المرتضى بالاتجاهات المعتزلية؛ لأنه في الفقه زيدي، وفي علم الكلام معتزلي، فهو عالم موسوعي، أتقن علوم العصر، إلا أنه لم يخرج عن المعالم الرئيسة لدى الزيدية، التي منها استدلاله باحاديث أهل البيت، على إمامة علي عليه السلام وعلى أفضليته، ثم إنه فسق معاوية ولعنهُ وقال بوجوب

(62) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:133).
(63) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:138، 139).
(64) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:100).
(65) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:3).
(66) ديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون (ص:263)؛ في علم الكلام، لصبحي (310/3).

التبرؤ منه، وقوله بخطأ من حارب عليًا عليه السلام يوم الجمل، خطأ يبلغ درجة الفسق، لخروجهم على الإمام، لهذا كان لزامًا عليّ أن أستعرض علم الكلام عند الإمام ابن المرتضى من خلال الآتي:

- الكلام في الإمامة:

ولبيان أن الإمام ابن المرتضى تميز عن كُتاب السيرة في ذكر مواقف الإمام علي عليه السلام بالترتيب الزمني بعيدًا عن المبالغة، نستشهد ببعض تلك المواقف في السيرة النبوية، التي أوردها الإمام ابن المرتضى من خلال مخطوط (يواقيت السير)، خصوصًا وأن الزيدية ذهبت إلى أن الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (عليًا عليه السلام) وأنه أفضل الأمة بعده، ومع أن كل مواقف الإمام علي عليه السلام مذكورة في أغلب كتب السيرة إلا أن ذلك يبين الاستقلال الفكري لابن المرتضى، ومن خلالها يحسب للإمام علي أنه الإمام بعد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

التي منها: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليًا أن ينام على فراشه ليلة الهجرة، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نم على فراشي واتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فإنه لن يخلص إليك شر ففعل وخرج رسول الله [67]. ومنها: استخلافه صلى الله عليه وآله وسلم عليًا لإخراج أهله، وأداء وصاياه، وأماناته التي كانت عنده للناس [68]، وفي غزوة ذات العُشيرة كنى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب بأبي تراب[69].

وعن اللواء والرايات، ضمن غزوة بدر الكبرى حيث كان أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض، ويوم خيبر دفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الراية إلى علي رضى الله عنه، وكانت بيضاء [70].

وفي غزوة أحد، عندما قُتل مصعب بن عمير أعطى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اللواء علي بن أبي طالب، فقاتل عليه السلام ولما أشتد القتال يوم أحد، جلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أن قدم الراية فتقدم وقال: أنا أبو القصم فناداه صاحب لواء المشركين، هل لك يا أبا القصم في البراز، قال: نعم فبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله [71].

وذكر أنه في يوم أحد نادى مناد لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: عليه السلام لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا[72].

وفي فتح خيبر قال[73]: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح على يديه ليس بفرار)، فدعا عليًا عليه السلام وهو أرمد، فتفل في عينه ثم قال خذ

(67) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:87).
(68) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:87).
(69) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:103)؛ وينظر أيضًا: الحدائق الوردية، للمحلي (36/1)؛ تاريخ الطبري، للطبري (262/2).
(70) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:105)؛ وينظر أيضًا: إمتاع الاسماع، للمقريزي (162/7)؛، محمد بن يوسف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي (24/4)؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (326/1)؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي (54/3).
(71) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:116)؛ وينظر أيضًا: البداية والنهاية، لابن كثير (22/4، 23)؛ الاكتفاء، للكلاعي (62/2).
(72) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:120).
(73) صحيح البخاري(171/5)؛ صحيح مسلم (120/7).

هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج بها يهرول هرولة حتى فتح الله على يديه [74]، أما عن فتح مكة فقد كانت راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع سعد بن عبادة فسمعه، عمر يقول اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فجاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بمقال سعد، وقال: ما نأمن أن يكون له اليوم في قريش صولة، فأمر عليًا أن يأخذ الراية منه، وأن يكون هو الداخل بها، فكانت رايته صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح مع علي عليه السلام ولم يكن قتال [75].

ومن فضائل الإمام علي عليه السلام: أنه من كتب شروط الصلح في بيعة الرضوان، وذلك حين دعاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين[76]، ومن فضائله أيضًا أن جنده شكوه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لانتزاعه عنهم حللًا من بز اليمن، فلما أكثروا الشكوى قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال[77]:(أيها الناس لا تشكوا عليًا فو الله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله)[78].

كذلك أورد موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في غزوة تبوك؛ إذ استخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليًا ـ عليه السلام ـ على أهله، وأمره بالإقامة فارجف المنافقون بأنه إنما تركه استثقالا له، فلما سمع علي ـ عليه السلام ـ أخذ سلاحه ولحق برسول الله فأخبره بما ذكر المنافقون، فقال: كذبوا ولكني جعلتك لما تركت وراي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع علي ومضى رسول الله في سفره [79].

كذلك ذكر موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من نزول سورة براءة؛ إذ قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أخرج بهذه القصة من صدر براءة، فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ على ناقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العضباء [80].

أما عن وصف رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان أحسن من روى في حليته، هو الإمام علي ـ عليه السلام ـ بقوله: كان صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون مشربًا حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كث اللحية ذا وفرة، دقيق المسربة، كأن عنقه إبريق فضة، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ليس في صدره ولا بطنه شعر غيره، شثن الكف، والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا، كأن عرقه اللؤلؤ، وريح عرقه أطيب من المسك

(74) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:133)؛ وينظر ايضًا: الحدائق الوردية، للمحلي (ص:169)؛ الاكتفاء، للكلاعي (161/2)؛ الروض الأنف، للسهيلي (75/4).
(75) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:144)؛ وينظر ايضًا: الاكتفاء، للكلاعي (184/2)؛ الروض الأنف، للسهيلي (161/4).
(76) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:130).
(77) المستدرك على الصحيحين، للحاكم(144/3).
(78) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:174)؛ وينظر ايضًا: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (350/1)؛ البداية والنهاية، لابن كثير (228/5)؛ الروض الأنف، للسهيلي (382/4).
(79) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:157)؛ وينظر أيضًا: التحف شرح الزلف، للمؤيدي (529/1)؛ إمتاع الاسماع، للمقريزي(50/2)؛ الاكتفاء، للكلاعي (223/2).
(80) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:163)؛ وينظر أيضًا: البداية والنهاية، لابن كثير(44/5)؛ الروض الأنف، للسهيلي(318/4)؛ الاكتفاء، للكلاعي(243/2).

الأذفر، ليس بالطويل، ولا القصير، ولا العاجز، ولا اللئيم، لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله[81].

- **الكلام عن عذاب القبر وضمته:**

نظر الإمام ابن المرتضى أن عذاب القبر ثابت لأهل النار فقط حيث إنه لا وجه للتضييق على من لا يستحق العقاب وأن الله سبحانه يفعل تلك الضمة كما فعل نصب الميزان، ومرور الصراط، ليكون العلم بأنه يفعل ذلك لطفًا، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:62] [82].

- **الكلام في ذكر العرش والكرسي:**

لقد أورد ابن المرتضى قول المجسمة في العرش، وأيضًا قول الزيدية الذين يعدون العرش عز الله وملكه، وليس جسمًا، وقد انتقد ابن المرتضى أئمة أهل البيت بهذا القول مما يدل على استقلاله الفكري، حتى عن بعض آل البيت، ولقد كان منصفًا وأمينًا في إيراد حجة آل البيت، في أن العرش هو العز والملك، إذ الداعي إلى تفسيره بالعز والملك، أنه لو فسر بهذا الجسم المحيط استلزم التجسيم في نحو قوله سبحانه:﴿**الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:5]، وهو محال وما يستلزم المحال محال أيضًا فلا بد من تفسيره بالعز والملك[83].

وذكر قول ابن عباس عن الكرسي: إنه من جوهرة خلاف جوهرة العرش، وقيل خلق من نور العرش، وهو ملتصق به أي "بالعرش"، وللكرسي أربع قوائم كل قائمة طولها لا يوصف[84]، وقد أنكر قول بعض الناس: إن العرش عبارة عن الملك، وليس كالسرير، مستشهدًا بقوله تعالى:﴿ **وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾ [الزمر:75]، وقوله: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة:17]، وهذا مخالف للمعتزلة، وقد خلص إلى أنه يمكن الجمع بين الأمرين، بأنه ملك على هيئة السرير أُمرت الملائكة بحمله وتعظيمه والله أعلم[85].

وكلام ابن المرتضى عن العرش والكرسي بأن جعلهما الله قبلتين للملائكة، كما أن الكعبة قبلة للمسلمين، واللوح على حقيقته لتعليم الملائكة ما يقتضيه الله على عباده، فقد انفرد به لذا خالفه مفكرو الزيدية من بعده[86].

مما سبق يتضح لنا أن الإمام ابن المرتضى، كان يتمتع بشخصيته العلمية المستقلة من خلال اتجاهه الكلامي، الذي يبين فيه بأنه زيدي مشايع، ومتأثر بالاتجاهات المعتزلية، إلا أنه يختلف معهم في كثير من المواضيع منها: عدم اهتمامه في التنقيب في دقيق الكلام وبالبحث في المسائل الطبيعية، واستدلاله بحديثي: المنزلة[87]، والغدير[88]، على إمامة علي عليه السلام وأفضليته، وقوله بإمامة الحسن، والحسين وبعصمة أهل الكساء، وانعقاد الإمامة بالدعوة وقصورها على البطنين، ثم إنه نهج نهجًا واضحًا بصدد أمور الآخرة، بحيث مال فيها الى الأشاعرة مرجحًا آراءهم على آراء الزيدية، وكلامه عن الكرسي والعرش، واللوح المحفوظ، انفرد به، لذا فقد خالفه

(81) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:187)؛ وينظر أيضًا: إمتاع الاسماع، للمقريزي(150/2)؛ سبل الهدى والرشاد، للصالحي(98/1).
(82) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:131، 132).
(83) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:3)؛ وينظر أيضًا: الاحتراس، للعبدي(ق:266، 267).
(84) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:3).
(85) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:3)؛ وينظر أيضًا: البداية والنهاية، لابن كثير(13/1)؛ تاريخ الإسلام، للذهبي (498/2).
(86) في علم الكلام، لصبحي(304/3).
(87) قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).
(88) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) فرفعها وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت وليه فعلي وليه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه.

مفكرو الزيدية من بعده، وهو علم من أعلام المعتزلة بين الزيدية، كان على بينة من نفسه في عرضه للموضوعات بعرض آراء السابقين، وكان رأيه يقف شامخًا إلى جوارهم

- **نقد الروايات التاريخية من المصادر التي نقل عنها:**

من الواضح في المتأمل في منهج الإمام ابن المرتضى، في كتابة السيرة النبوية، أنه كان ينقد الروايات التاريخية التي نقل منها، ويرجح بينها، وكان يرد عليها بما يعارضها بأدلة نصية أو عقلية، مع التسليم المطلق لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا كانت صحيحة فيقول[89]: "والله أعلم بأصح الروايتين" وقوله "فإن صح الخبر فسمعًا وطاعة"، وذلك يتضح في الآتي:

1- في خلق آدم عليه السلام ذكر رواية كعب الأحبار، أن الله تعالى لما أراد نفخ الروح فيه بدأ من رأسه، فمرت على أعضائه، وتجري بها الحياة، يقول [90]: "وأكثر هذه التفاصيل إنما تعلم سمعًا لا عقلًا "ن وهو بهذا يميز بين ما يؤخذ بالنقل وما يحكم عليه بالعقل.

2- ذَكر رواية عن علي ـ عليه السلام ـ أنه قال: ما عبد أبي ولا جدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنمًا، قيل ما كانوا يعبدون قال: كانوا يصلون إلى الكعبة على ملة إبراهيم، فقال[91]: "ولو سلمت هذه الرواية عما يعارضها لقضينا بصحتها، فقد روي أن قول الله تعالى:﴿**وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [البقرة:119]، في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروي أن أبا طالب أخف الناس عذابًا يوم القيامة ثم ختم بقوله والأحوط التوقف في ذلك"، وهذا موقف وسط بين من يقول بإيمان ونجاة أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين من يقول هذا بهم، وهي قضية مختلف فيها حتى بين أهل السنة أنفسهم[92].

- **ترتيب المخطوط من حيث الموضوع أو ترتيب تواريخ الأحداث:**

تجدر الإشارة إلى أن اتجاه ابن المرتضى في كتابة السيرة النبوية كان على منهجين الأول/ منهجه في عرض التسلسل الزمني، فقد بدأه مرتبًا بحسب الأحداث، فبدأ بذكر الكون وآياته، وخلقه، ثم ذكر خلق الأنبياء مرتبين بحسب تواريخهم[93]، ثم ذكر السيرة النبوية من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مولده، وحياته، إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة [94]، كما أن منهجه الثاني أن كتابته كانت مرتبة على حسب الموضوع، فقد كان يذكر موضوعًا معينًا ثم يجمع أحداثه كلها، ومن ذلك: غزواته صلى الله عليه وآله وسلم وبعوثه وكُتابه[95].

- **مهملاته في كتابة السيرة:**

نستطيع القول: إن تفاصيل عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأذكاره من مهملات ابن المرتضى في كتابة السيرة؛ إذ من الواضح أنه لم يتطرق إليها في المخطوط، وكذلك أذكاره، إلا ما كان من المنثور في أوراق المخطوط، بحسب الأحداث وهي قليلة جدًا،

(89) يواقيت السير، لابن المرتضى ينظر على سبيل المثال: (ق:78، 97).
(90) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:18).
(91) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق: 77).
(92) جامع البيان، للطبري(480/2)؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي(574/1)؛ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، للصنعاني(292/1)؛ تفسير روح البيان، للبروسوي(172/1).
(93) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:2- ق:51).
(94) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:51- ق:95).
(95) يواقيت السير، لابن المرتضى ينظر على سبيل المثال: (ق:103، ق:145، ق:152، ق:160، ق:183، ق:184، ق:189 – 190).

ولعل ذلك أنه اعتنى بالمسألة التاريخية أكثر من القضايا التعبدية.

تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء قبله، نافلة القول: إن ابن المرتضى لم يتطرق إلى تلك المسألة، ربما يعود ذلك؛ لأنها من المسلمات عند جميع المسلمين، ولا ريب أن بين الإسلام و الشرائع السماوية تشابهًا في كثير من التعاليم ومكارم الأخلاق، وذلك ما يؤكده الإسلام الذي يصرح بأنه لا يفرق بين أحد من الأنبياء، وبأنهم جميعًا يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا سواه[96]. وهذا هو دأب الكثير من كُتاب السيرة المطهرة في القرن9هـ/15م ومن جاء على إثرهم.

- **التعامل مع مرويات من سبق ابن المرتضى:**

في واقع الأمر كان ابن المرتضى يعلق على كلام من سبقه من كُتاب السيرة النبوية، وأكثر ما علق على مرويات أبي العباس الحسني فيقول[97]: مثلًا "وهذا قول أصحابنا"، "موافق لقول أصحابنا"، "وغيره من أهل التواريخ"، "هكذا رواه المؤرخون من أهل المدينة"، "هذا ما تناوله أصحابنا"، أو يسنده بدليل من القرآن الكريم[98] كقوله تعالى: ﴿ **وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [البقرة:89]، وقال تعالى:﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر:94].

- **الاتجاه الفقهي عند الإمام المهدي المرتضى في كتابته للسيرة النبوية:**

ميزة أخرى تميز بها الإمام ابن المرتضى وهي أنه كان يتطرق إلى المسائل الفقهية المستنبطة من السيرة النبوية عند ذكر الأحداث، ويستدل بها على حكم شرعي وهذا يظهر جانبًا من اتجاهه الفقهي الذي نذكر منه:

مسألة جواز إرسال من يتقدم بالبشرى بما فتح الله للعباد من فتوح، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرسل من يبشر بانتصاره؛ إذ أشار إلى جواز التهنئة بالفتوح وغيرها [99]، وعن سبب حكم صلاة الفريضة حال المشي إلى العدو، بين الإمام ابن المرتضى في حكم الصلاة لطالب العدو جائز بدلالة أن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم قال لعبدالله بن أنيس: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي مجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرنة؛ فأته فقتله؛ فقال له يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه، قال: إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة، قال: فخرجت متوشحا سيفي حتى وقع إليه وهو في ظعن يرتاد لهن منزلا حين كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن تكون بيني وبينه قتال تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه؛ فقال ابن المرتضى: وهذا يدل على جواز الصلاة كذلك لطالب العدو إذا خشي فوتها، ثم قال ابن المرتضى: وفي ذلك كلام في علم الفقه قد أودعناه كتاب الأحكام في فقه أئمة الإسلام[100].

ولعل من المسائل الفقهية التي ذكرها الإمام ابن المرتضى مسألة أبي العاص بن الربيع (ت12هـ/633م)، وزوجته، زينب بنت رسول الله لأنها أسلمت قبل أن يهاجر أبوها إلى المدينة، ولم تهاجر معه، وبعد غزوة بدر بشهر افتدته زينب بقلادة لها؛ لأنه كان من الأسرى يوم بدر، فأطلقه الرسول صلى

(96) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، لصبحي الصالح(ص:63).
(97) يواقيت السير، لابن المرتضى ينظر على سبيل المثال: ق53، ق78، ق131.
(98) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:71، ق:73).
(99) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:108).
(100) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:177).

الله عليه وآله وسلم على أن يرد إليه زينب ففعل، فأقام بمكة وزينب بالمدينة فرق بينهما الإسلام، ثم إنه خرج تاجرًا إلى الشام، فلقيته سرية لرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأصابوا ما معه من مال، وأقبل أبو العاص تحت الليل، حتى دخل على زينب فاستجار بها فأجارته في طلب ماله، فما كان من رسول الله إلا أن دخل على ابنته، فقال: أي بنية، أكرمي مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له.

قال[101]: "قلت: إن المعلوم، أنها كانت معه قبل أن يهاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قد أسلمت دونه، فكيف لم يعتزلها عنه؟ قلت أجاب ابن هشام بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في مكة يقدر يحل ولا يحرم، قلت وهو جواب ضعيف جدًا، فإنه لو منعها رسول الله، امتنعت، ولم يكن أن يجبرها زوجها وتعصيه إذ أمرها إلى أبيها، ولو خرجت إلى أبيها، تحميها بنو هاشم كما حمت رسول الله، فالأولى في الجواب أن يقال: كان ذلك قبل نزول آية التحريم للمسلمين على المشركين وهو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾ [الممتحنه:10] والله أعلم". وبعد أن أسلم أبو العاص بن الربيع، قدم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال[102]: " قيل فرد عليه زينب بالنكاح الأول ولم يحدث عقدًا، قلت: لعله أسلم قبل انقضاء العدة". هكذا كان الإمام ابن المرتضى يكتب السيرة بشخص الفقيه المحقق، الذي لا يقبل الكلام من رواة السيرة الآخرين، دون تصحيح وترجيح.

- **الاتجاه الحديثي والترجيح بين الروايات:**

استند الإمام ابن المرتضى في كتابته للسيرة، إلى كتب السيرة، وكتب الحديث، عند ذكر روايات متعددة في المسألة يرجح بينهما ما أمكن، ويختار الرأي الأقوى بالنسبة له من وجهة نظره؛ باستناده على الأحاديث الصحيحة، وأبرز سمات منهج الإمام ابن المرتضى هو التوقف فيما إذا تعارضت الروايات ونمثل لذلك فيما يأتي:

1- ترجيحه أن الصلاة شرعت قبل ليلة الإسراء والمعراج خلاف ما عليه أكثر الرواة كما ذكر[103]

2- ومن ذلك ما ذكر في قصة حادثة شق الصدر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد رجح حصولها وبين أن المجمع عليه أن بطنه شق من صدره إلى عانته، وأورد ابن المرتضى اختلاف الروايات في تفاصيل جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحادثة[104].

3- ذكر حادثة الإفك والاختلاف حول الذي تولى كبره، إذ قيل حسان بن ثابت، وقيل عبدالله بن أبي وهو الأصح عنده، وأشار إلى تلك الحادثة بالكذب، من خلال بيان قول أبي أيوب الأنصاري وزوجته[105].

4- ولصحة الرواية يقول[106]: "وهذا الخبر متفق على صحته أي الرواة كلهم يوافق بعضهم بعضًا، على أنه صحيح النقل، ولم يطعن أحدهم في متنه ولا في سنده".

(101) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:110).
(102) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:111).
(103) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:82).
(104) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:65).
(105) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:138).
(106) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:66).

5- ولما استكمل ذكر الغزوات قال[107]: "ولما استكملنا ما اتفق عليه الرواة من غزواته، وبعوثه، وبقي منها ما لم يذكره ابن هشام، بل ذكره أهل الحديث، وعلم التاريخ، أشرنا إلى ذلك بقولنا وهذا فرع متفرع على ما رويناه من مغازيه وبعوثه وهو قولنا: فأما سراياه فكثيرة، وقد قيل: إن مغازيه وسراياه كانت ثلاثًا وأربعين، وهو الصحيح".

6- وقال[108]: "قلت: هكذا روى أهل الحديث وابن هشام في سيرته وروى أهل البيت عن علي ـ عليه السلام ـ أنه قال: كفنت رسول الله بثلاثة أثواب سحوليه"، وهو بهذا يجمع بين رواية أهل الحديث وأهل السيرة ورواية آل البيت.

7- وأورد ابن المرتضى الجمع بين الروايات واعتمد على أهل البيت في تصحيحها، نذكر منها مثالًا قال[109]: "وقلت: في ابتداء شرع الأذان اضطراب في الروايات وأهل البيت يصححون أنه شرع يوم شرعت الصلاة، ويذكرون أنه نادى به ملك والله أعلم". ويلاحظ أن ابن المرتضى عاد ليؤكد الجمع بين الروايات فقال[110]: "قلت: بل يجب تصحيح الروايتين رواية عبدالله بن زيد وما راه في حلمه ورواية أهل البيت وتصديق راويهما حيث أمكن وهو هنا ممكن ما ذكرنا، من أنه شرع بالوحي في مكة ليلة الإسراء أو غيرها؛ لأنه من تمام أركان الدين التي لا يعمل فيها إلا بالوحي دون الأحلام"[111].

المبحث الخامس:السمات المنهجية لابن المرتضى، في كتابته للسيرة النبوية من خلال مخطوط (يواقيت السير) منها.

- أن أُسلوب ابن المرتضى في الكتاب اتسم بالبساطة، والجمع بين الدقة، والإيجاز، ويتضح ذلك من خلال عناوين الأبواب، وتعليقاته على النصوص، ومن خلال وقوفه عند بعض الكلمات، وتكرارها كثيرًا مثل قلت، تنبيه، نعم، مسألة [112].
- ومن السمات البارزة أيضًا: ظهور شخصية ابن المرتضى من أول المخطوط حتى آخره،

ويتضح ذلك جليًا من خلال التنظيم العام للمخطوط، وفي جمع مادته العلمية، وتوزيعها إلى أبواب وفصول، مع عدم الاستطراد، والإطالة، علاوة على جهده في وضع عناوين الأبواب والفصول[113].

- ومن السمات المنهجية العناية بالأرقام، والإحصاءات في موضعها، ويظهر ذلك جليًا عند عرضه لحوادث غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيذكر عدد الغزوات، والسرايا، وعدد الغزوات التي شارك فيها صلى الله عليه وآله وسلم، وعدد كتّابه، وعدد زوجاته، وعدد مواليه، ودوابه، وذلك بشكل يعزز القول، بأن ابن المرتضى ربما صنف كتابه لأغراض تعليمية، ولحاجة القراء آنذاك لمثل هذه المعلومات الدقيقة[114].

---

(107) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:182).
(108) يواقيت السير، لابن المرتضى(ق:99).
(109) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:91).
(110) يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:91، ق:92).
(111) ولم يعرف الأذان دعوة إليها إلا بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، حيث وجد المسلمون متنفسًا لأداء الشعائر الدينية، وكان يأمر بلالًا أن يؤذن بالناس للصلاة. ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون (ص:283).
(112) يواقيت السير، لابن المرتضى ينظر على سبيل المثال: (ق:52، ق:60، ق:85، ق:93، ق:99،؛ ق:175).
(113) ينظر: مثالًا لذلك، يواقيت السير، لابن المرتضى (ق:165 – 171).
(114) يواقيت السير، لابن المرتضى، ينظر: مثالًا لذلك، (ق:95 – 101، ق: 103 – 160، ق:187 – 189).

- ومن معالم منهجه: سياقه لأحداث السيرة المحمدية بالترتيب، وعند انتقاله من باب لآخر، كان يبدأ بالحدث من عنده مستخدمًا بعض العبارات مثل: قال ابن هشام، حدثنا، وقراءتي عليه، وأخبرني، ثم يكمل سلسلة الأحداث، وكان يستخدم أحيانًا صيغة روي وقد روي، و يكتفي بذكر الراوي الأخير للرواية، ربما لعدم التكرار، أو خوفًا من الإطالة على القارئ [115].

الخاتمة: خرج هذا البحث بجملة من النتائج، يمكن إيجازها في الآتي:

- معرفة الاتجاه الزيدي في كتابة السيرة النبوية، خلال القرن9هـ/15م، في الساحة العلمية اليمنية، وإلقاء الضوء على مدة من مدد التاريخ الإسلامي، في الجانب العلمي والفكري.
- أثبت البحث مدى متانة منهج كُتاب الزيدية، ذلك المنهج القائم على اعتماد الأحاديث النبوية الصحيحة، والعناية بالرواية سندًا ومتنًا، مع متانة العنصر التاريخي وضبط الوقائع والأحداث زمنيًا، واستخدام الأرقام والإحصاءات في موضعها.
- ظهور شخصية الإمام ابن المرتضى جلية في نقد الروايات والترجيح فيما بينها، وطرحه لكثير من الاتجاهات أهمها الاتجاه الكلامي.
- كان لكتب الإمام ابن المرتضى الأثر الواضح، بحيث كانت معتمد المذهب الهادوي، والزيدي بعد وفاته.
- أن مؤلفات كتاب الاتجاه الزيدي أكثر تميزًا من غيرها، نظرًا لالتزامها بمنهج علمي قائم على الأخذ بالأحاديث النبوية الصحيحة، وعنايتها أيضًا بفقه السيرة النبوية، واستنباط الأحكام منها، وعنايتها بتنقية أحداث السيرة ووقائعها ونقد متونها وأسانيدها.

التوصيات: من التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة:

- ضرورة الاهتمام بالمخطوطات، والعمل على تحقيقها؛ لأن معظمها لا يزال حبيس المنازل، وبعض المكتبات الخاصة والعامة، ناهيك عن المفقود منها في المكتبات العالمية.
- العمل على الاستفادة من التقنيات الحديثة في دراسة السيرة النبوية، وجمع مروياتها، وتحرير الأبحاث المتعلقة بها.
- تقديم الدعم اللازم للباحثين، والعمل على تسهيل وتوفير سبل البحث، وتشجيع ودعم المراكز والمؤسسات الخاصة والعامة.
- الاهتمام بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمزيدٍ من الدراسات المعمقة؛ لأن سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن ضمنها السيرة النبوية ـ هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، كما أن ذلك يعزز ـ وبشكل فعّال ـ من تثبيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كقدوة للأجيال أمام الغزو الفكري القادم.

المصادر والمراجع

[1] ابن ابي الرجال، أحمد بن صالح.(1425هـ). مطلع البدور ومجمع البحور. تحقيق: عبد الرقيب حجر. ط:الأولى. مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية. صعدة . اليمن.

[2] ابن أبي بردة، علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري. (د.ت). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق:

(115) يواقيت السير، لابن المرتضى، ينظر على سبيل المثال: (ق:54، ق:59 – 65، ق:87، ق:163، ق:173).

هلموت ريتر. ط:الثالثة. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

[3] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني.(1417هـ).الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط:الأولى. دار الكتاب العربي. بيروت.

[4] ابن القاسم، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله.(1421هـ). طبقات الزيدية الكبرى. تحقيق: عبد السلام الوجيه. ط: الأولى. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

[5] ابن المرتضى، أحمد بن يحيى.(2005م). يواقيت السير في شرح الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر(الجزء الخاص بالأئمة الزيدية). تحقيق: حسن صالح ناجي المراني. رسالة ماجستير. جامعة صنعاء. صنعاء.

[6] ابن المرتضى، أحمد بن يحيى.(1032هـ). يواقيت السير في شرح الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر. مخطوط، كتبها صلاح بن أحمد بن محمد الحسيني الخولاني.

[7] ابن المرتضى، أحمد بن يحيى.(1366هـ). مقدمة البحر الزخار الجواهر والدرر من سيرة سيد البشر. تحقيق: عبد الله عبد الكريم الجرافي. ط: الأولى. دار الحكمة اليمانية. صنعاء.

[8] ابن الوزير، صارم الدين إبراهيم بن محمد. (1422هـ). الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة الزكية وأعلام الأمة المحمدية. تحقيق: محمد يحيى سالم. ط: الأولى. مركز التراث والبحوث اليمني.

[9] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي.(1408هـ). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة. ط:الثانية. دار الفكر. بيروت.

[10]ابن سيد الناس، محمد بن محمد أبي الفتح.(1399هـ). عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. تحقيق: محمد العيد الخطراوي. ط: الأولى. مكتبة دار التراث المدينة المنورة.

[11]ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري.(1408هـ). البداية والنهاية. تحقيق: علي شيري. ط: الأولى. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

[12]أبو طالب، يحيى بن الحسين بن هارون الحسن.(1422هـ). تيسير المطالب في آمالي أبي طالب. تحقيق: عبدالله بن حمود العزي. ط: الأولى. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. صنعاء.

[13]أبو طالب، يحيى ين الحسين بن هارون الهاروني الحسني. (1435هـ). الإفادة في تاريخ الأئمة السادة. ط: الرابعة. مكتبة أهل البيت، صعدة. اليمن.

[14]الأشكوري، السيد أحمد الحسني.(1413هـ). مؤلفات الزيدية. ط: الأولى. مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي. إيران.

[15]الأكوع، إسماعيل بن علي.(1986م). المدارس الإسلامية في اليمن. ط: الثانية. مؤسسة الرسالة. بيروت.

[16]الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن بن محمد.(1433هـ). تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن. تحقيق: عبد الله محمد الحبشي. ط: الأولى. مكتبة الإرشاد. صنعاء.

[17]البروسوي، إسماعيل حقي الخلوتي.(بدون). تفسير روح البيان. ط: (بدون). دار إحياء التراث العربى، بيروت.

[18]الحجري، محمد بن أحمد اليماني.(1404هـ). مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع. ط: الأولى. دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

[19]الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز.(1413هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط: الثانية. دار الكتاب العربي. بيروت.

[20]الزحيف، محمد بن علي بن فند الصعدي. (1423هـ). مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية. تحقيق: عبد السلام الوجيه – وخالد قاسم المتوكل. ط: (بدون). مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. عمان. الاردن.

[21]الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الدمشقي. (2002م). الأعلام. ط: الخامسة عشرة. دار العلم للملايين.

[22]زيد، عباس محمد: أئمة أهل البيت الزيدية، ط:الأولى، مؤسسة الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية، صنعاء، 1422هـ.

[23]السهيلي،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد.(1410هـ). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. ط: (بدون). مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

[24]السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.(1424هـ). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تحقيق: مركز هجر للبحوث. دار هجر. مصر.

[25]شراب، محمد بن محمد حسن. (1411هـ). المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. ط: الأولى. دار القلم. الدار الشامية. دمشق. بيروت.

[26]الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر.(1414هـ). الملل والنحل. تحقيق: أمير مهنا – وعلي فاعور. ط: الثالثة. دار المعرفة. بيروت.

[27]الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني.(1425هـ). السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. ط: الأولى. دار بن حزم.

[28]الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني.(بدون). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة.بيروت.

[29]الصالحي، محمد بن يوسف.(1418هـ). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ط: الأولى. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة.

[30]صبحي الصالح.(1989م). النظم الإسلامية نشأتها وتطورها. ط: السابعة. دار العلم للملايين. بيروت.

[31]صبحي، أحمد محمود.(1411هـ). في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين(الزيدية). ط: الثالثة. دار النهضة العربية. بيروت.

[32]الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله.(1420هـ). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى. ط:(بدون). دار إحياء التراث. بيروت.

[33]الصلابي، علي محمد بن محمد. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ط: الأولى. مؤسسة اقرأ. القاهرة. 1426هـ.

[34]الصنعاني، عبد الرزاق بن همام.(1999م). تفسير عبد الرزاق الصنعاني. تحقيق: مصطفى مسلم. ط: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت.

[35]الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.(1415هـ). جامع البيان في تفسير القرآن. تحقيق: بشار معروف– وعصام فارس. ط:الأولى. مؤسسة الرسالة. بيروت.

[36]الطبري، محمد بن جرير بن يزيد.(1387هـ). تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ط: الثالثة. دار التراث. بيروت.

[37]العبدي، أبو محمد إسحاق بن محمد بن قاسم.(بدون). الاحتراس عن نار النبراس الطاعن في قواعد الأساس. مخطوط، مكتبة الإمام زيد بن علي، صنعاء.

[38]الفضيل، علي بن عبد الكريم شرف الدين. (1405هـ). الزيدية نظرية وتطبيق. ط:الأولى. جمعية عمال المطابع التعاونية. عمان.

[39]الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم الحميري.(1420هـ). الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثلاثة الخلفاء. تحقيق: محمد كمال الدين. ط:الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت.

[40]المحطوري، المرتضى بن زيد الحسني. (1436هـ). الزيدية. ط: الأولى. مكتبة بدر للطباعة والنشر. صنعاء.

[41]المحلي، الشهيد حميد بن أحمد بن محمد. (1423هـ).الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. تحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني. ط: الأولى. مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع. صنعاء.

[42]مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، القشيري.(بدون).المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

[43]المقريزي، تقى الدين أحمد بن على.(1420هـ). إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. ط: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت.

[44]المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي. (1419هـ). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض. ط: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت.

[45] المؤيدي، مجد الدين بن محمد بن منصور. (1317هـ). التحف شرح الزلف. ط: الثالثة. مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع. صنعاء.

[46]الواقدي، محمد بن عمر بن واقد.(1409هـ). المغازي. تحقيق: مارسدن جونس. ط: الثالثة. دار الأعلمي. بيروت.

[47]ياقوت الحموي، شهاب الدين ابن عبد الله الرومي.(1995م). معجم البلدان. ط:الثانية. دار صادر. بيروت.

[48]يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي.(1388هـ). غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور- ومحمد مصطفى زيادة. دار الكتاب العربي. القاهرة.

[49]اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب.(1358هـ). تاريخ اليعقوبي. مطبعة العربي. النجف. العراق.